

الارض الفلسطينية خطيرة... يا « باجس أبو عطوان »... وهي تصبح أكثر خطرا... حين تلمسها القدم الفلسطينية ، وتلتحم بها

هل حدثك مدرسك في مدرسة « دورا » ، ذات يوم ، عن ذلك البطل-الاغريقي القديم ، الذي كان ينتصر دائما على اعدائه ، لانه كان يغرس قدميه في الارض ، كلما احس بالضعف ، فيسترجع قوته وعنفوانه ... وينتصر على مبارزه ... آه يا « باجس أبو عطوان » ... ، لعله قد حدثك عن ذلك البطل ، وحدثك ايضا عن نهايته المنجعة ... حين انتصر عليه ، بطل اغريقي اخر ، اسمه : هرقل ...

لقد انتصر عليه ، انتصر على ذلك البطل ، لانه ، لم يتركه ، يغرس قدميه في الارض ، حاربه ، وقد رفعه في الهواء ، وهكذا انتصر هرقل ... لانه عرف سر ذلك البطل ، عرف ان سره في الارض ، وان معجزته في الارض ، فلم يمكن قدميه ، من الارض ، رفعه فوق الارض ، جعله معلقا من خفائر شعره في الهواء... وقضى عليه ...



« باجس أبو عطوان » ... ، كان على قدمك ، ان تتذكر تلك الطريق جيدا ... من « دورا » ، الى « خربة الطيبة » ... فحينما تفقد القدم الفلسطينية ذاكرتها ... فسوف يموت الرأس ... سوف يسقط كحجر من بين الكتفين ...

اذكر هذا جيدا ، يا « باجس أبو عطوان » ... فالقدم هي الخارطة ، والخارطة هي القدم ... وفلسطين امرأة : تحبل من يديها ... وتلد من قدميها ... يا « باجس أبو عطوان » ...

[٢]

« كيف حدث هذا ؟... »

● لقد انهي دراسته الاعدادية ... ونال الشهادة ... وهو يستطيع ان يفهم الان ما يقوله الفلاحون ... في احاديثهم القصيرة ... والطويلة ، وهم يرتشفون اقداح الشاي ... ويدخنون ... بعضهم لفافة التبغ ... الثقيلة الرائحة ، والبعض الآخر ... الغليون ، وهناك من يدخن « الشيشة » ... وهكذا استطاع « باجس أبو عطوان » ان يميز بين نوعين من الفلاحين ... فالفلاح الذي يدخن « الشيشة » كان بالنسبة « لباجس أبو عطوان » ، فلاح ميسور الحال ... فأوراق التبغ التي يملك لون الذهب ... ، أعلى ، من ذلك التبغ الاسود ... والذي يدخن الشيشة ، يملك المزيد من الوقت ، وليس كالفلاح الذي يدخن لفافة التبغ ، ويرتشف قدح الشاي ... ثم يمضي الى فراشه ... فعليه ان يكون قبل اشعة الفجر فوق الارض ...



في احيان كثيرة ، كان « باجس أبو عطوان » ، يشاهد مدرسي القرى ، يأتون الى المقهى ... ويجلسون الى جوار بعضهم البعض ، في دائرة كبيرة ... اما الفلاحون ، فلقد كانوا متناثرين هنا وهناك ... وفي حلقات صغيرة ... وما اكثر ما كان يسأل نفسه ، لماذا المدرسون في دائرة ... والفلاحون في دائرة اخرى ... واكثر من مرة حاول ان يطرح هذا السؤال على مدرسه ، ولكنه ، كان يتوقف في اللحظة الاخيرة ... ورغم ذلك ، فقد كان يحس ان هناك خطأ ما ... وكان يبسال نفسه :

— لماذا لا يجلس المدرسون والفلاحون في حلقة واحدة ؟...